



مدارس القدس

في كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - قراءة تحليلية -

عزيز العضا

باحث دكتوراه - معهد القدس للدراسات والأبحاث/ جامعة القدس

مقدمة

ولد مجير الدين الحنبليّ عام (860 هـ / 1455 م) في القدس . تفقّه على والده وأخذ عنه جملة من العلوم، ثم على جماعة من أهل أفضل والعلم من الشيوخ والفقهاء والقضاة، فكانوا طليعة أساتذته وشيوخ إجازته. وفي عام (880 هـ / 1475 م) رحل إلى القاهرة، ومكث فيها نحو (20) عامًا. ثم عاد إلى القدس وتولى القضاء فيها. وخلف نتاجًا يدل على فضل وسعة اطلاع، وهو: (1) فتح الرحمن في تفسير القرآن: في مجلدين. (2) المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد. (3) التاريخ المعتبر في أبناء من غبر. (4) إتحاف الزائر وأطواف المقيم المسافر. (5) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (الحنبلي 1973: المقدمة).

لم يحقق من كتب مجير الدين سوى مؤلفين هما: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، ومخطوط الأنس الجليل، الذي ترجمه المستشرق هنري سوفير (Henri Sauvaire)

إلى الفرنسية في باريس عام 1876 م (الحنبلي 1999، ج2: 9). وسترکز دراستنا هذه على كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، بدءاً بالتعريف بالكتاب وأهميته التوثيقية والتأريخية، وصولاً إلى الموضوع قيد البحث وهو: مدارس بيت المقدس كما وردت في هذا الكتاب.

كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - التعريف والاهمية:

استغرق مجير الدين في جمع كتابه هذا أربعة أشهرٍ مبتدئاً من (15 ذي الحجة 900هـ/ 6 أيلول 1495م) (الحنبلي 1973، ج2: 383). ويعدّ مصدراً مهماً وموثوقاً، ومن أكثر المصادر شموليةً عن القدس (والخليل)، لاسيما في مجال المعالم والأوقاف المقدسية في العصرين الأيوبي والمملوكي، لعدة أسباب، منها:

1) لأنّه (بجزأيه) قد كرس في الموضوع نفسه (القدس)، ولم يخرج عن هذا السياق، وأنه جاء حصيلة مجموعةٍ قيّمةٍ من المصادر التي سبقته، والتي تناولت تاريخ القدس من جميع جوانبه (الحنبلي 1973: المقدمة)، مضافاً إليها أنّ المؤلف (الحنبلي) قد عاش في المسجد الأقصى المبارك ومحيطه.

2) اعتمد مجير الدين في كتابه هذا على السجلات الشرعية الأيوبيّة والمملوكيّة، التي اطلع عليها مستفيداً من وظيفته كقاضٍ للقضاة في القدس (غوشة 2009، ج1: 19)، كما اعتمد على وثائق وسجلات عصره، وحتى على اللوحات التأسيسية، فأضاف بذلك عنصراً جديداً لكتابة التاريخ في عصره (الحنبلي 1999، ج2: 9). أضف إلى ذلك وثائق الحرم الشريف، التي اكتشف جزء منها سنة 1974م، يتراوح مجموعها ما بين 1300-1500 وثيقة تقع في (883) ورقة، أو مادة، يعود أقدمها إلى سنة (604هـ/ 1207م)، وأحدثها إلى سنة (866هـ/ 1461م)، وفيها عدد من الوثائق الخاصّة بالوقفيات؛ كالعقارات، والدور وأجزائها، والطرق والأبنية المجاورة (العسلي 1983).



3) كما استند مجير الدين في جمع كتابه هذا إلى معلوماته المبنية على الدراسة المعمّقة، والاطّلاع الشخصي، والمعلومات التاريخية الشخصية، وإلى ثروة علمية لمجموعة قيّمة من المصادر لعشرين من المؤرّخين والرّحالة، منهم: الواقديّ (ت 207هـ/ 822م)، واليعقوبيّ (ت 284هـ/ 897م)، والطّبريّ (ت 310هـ/ 922م)، والمقدسيّ (ت 380هـ/ 990م)، وأسامة بن منقذ (ت 584هـ/ 1188م)، وياقوت الحمويّ (ت 626هـ/ 1229م)، وابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، والسّيوطيّ (نبغ في 875هـ/ 1470م). وهؤلاء يغطّون الفترات العبّاسية والفاطمية (والفترة الصليبية) والأيوبيّة، وصولاً إلى معاصريه في الفترة المملوكية. وجدير بالإشارة إلى أنّ السّيوطي هو من خصّ القدس بحديثه، وأمّا بقيّتهم فقد جاء موضوع القدس في كتبهم بصورة عامّة، وواحدًا من الموضوعات التي عالجتها تلك الكتب (الحنبلي 1973، ج 1: 9-18).

يؤكد الحنبليّ أنّه ذكر غالب ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد ممّا هو مجاور لسور المسجد الأقصى المبارك وغيره، وأسماء من عرفه من الواقفين، وما اطّلع عليه من تواريخ أوقافهم (الحنبلي 1973، ج 1: 3). وبذلك، يكون قد حفظ لنا تراجم ومدارس وزوايا ومقابر وأعلاماً وأحداثاً كنا سنفقدّها لولا هذا السّفر العظيم (الحنبلي 1999، ج 2: 9).

وستتناول، فيما يأتي المدارس المذكورة في هذا الكتاب، بجزأيه الأول والثاني، كما وردت في طبعة مكتبة المحتسب لسنة 1973م، من حيث: سنة التأسيس، والواقف، وأي سمات وخصائص أخرى تمّ ذكرها.

مدارس القدس في كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل:

يذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه هذا 59 مدرسة، باستثناء الزوايا ودور القرآن وغيرها من المؤسسات التعليمية، فكانت موزعة على المدن التالية: 50 مدرسة في القدس، ومدرسة واحدة في الرملة هي «الخاصكية»، ومدرستان في الخليل هما: الفخرية والقيمرية،

ومدرستان في دمشق، هما: التقوية والدولقية، ومدرسة واحدة في حلب وهي المدرسة «النوريّة»، و3 مدارس في مصر، هي: سعيد السعداء، والمؤيدية والصلاحية (الحنبلي 1973 ج2: صفحات مختلفة).

وعليه، ستركز بحثنا في إجراء قراءة تحليلية فيما ورد من معلومات حول الـ50 مدرسة في القدس، كما وردت في طبعة سنة 1973 التي قامت عليها مكتبة المحاسب في عمان.

أجرى الباحث محمود عودة كعابنة مراجعة لمدارس بيت المقدس كما وردت في الأنس الجليل بتاريخ القدس الخليل، فتبين له أن عدد المدارس في بيت المقدس كما ورد عن مجير الدين زاد على الستين، في فترة لم تزد على القرنين من الزمان. وكان هناك عدد من الاستنتاجات التي خرج بها الباحث كعابنة في هذه المراجعة (كعابنة 2009).

وهناك دراسات أخرى تناولت مدارس بيت المقدس بشكل عام، والفترتين الأيوبية والمملوكية على وجه الخصوص، منها: (العسلي 1981: 54 - 297)؛ (العارف 1999: 236 - 259)؛ (يوسف 2010: 121 - 268)؛ (يحيى 1998)؛ (ربايعة 2010)؛ (اليعقوب 1999: 305 - 344)؛ (العلمي 1999: 299)؛ Burgoyne 1987: 299؛ Hawari 2007)؛ (قليبو 2019)؛ (صبري 2021). وتأتي مراجعتنا هذه لتسلط الضوء على الآتي:

أولاً - مدارس بيت المقدس جزء أساس في النسيج المعماري، وتتوزع داخل المسجد الأقصى المبارك وحوله وفي محيطه:

لقد كان للمدارس مكانة خاصة و متميزة في العمران؛ إذ إنها كانت تشكل جزءاً أساسياً من النسيج العمراني للمسجد الأقصى المبارك، خاصة الرواقين الشمالي والغربي. وفي بعض الحالات، تُبنى المدرسة مع جزء (قاطع) من الرواق، فالرواق الذي في سفلى المدرسة القادرية بني معها، وكذلك مجمع المدرسة الكريمة. والرواق



الممتد من باب الدويدارية إلى آخره من جهة الغرب على ظهره خمس مدارس؛ فبعضه وهو الذي سفلى المدرسة الأمينية، والمدرسة الفارسية كان قديماً، ثم جددت عمارته في دولة الملك المعظم عيسى سنة 610هـ/ 1213م، وهو الذي سفلى ثلاث مدارس، وهي: الملكية، والأسعدية، والصبيبية، فكل مدرسة بني معها ما تحتها من الرواق والمشاهدة تدل على ذلك؛ فإن كل مدرسة من هؤلاء، بناؤها مناسب لما سفلها من الرواق، وبذكر تاريخ كل مدرسة يُعلم منه تاريخ بناء الرواق الذي سفلها» (الحنبلي، الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل. ج 2 1999) (الحنبلي 1973، ج 2: 22). وقد اهتم الحنبلي في ذكر المدارس وتوزيعها انطلاقاً من جوار الجامع الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، كالاتي:

1 - المدارس مما هو بجوار المسجد الأقصى المبارك:

تقع في هذه المنطقة مدرستان، هما: 1. «المدرسة النصرية»؛ وهي أقدم مدرسة من مجموعة المدارس التي يذكرها مجير الدين في كتابه (أنشئت سنة 450هـ/ 1058م) (يوسف، 2010: 142)، التي كانت على برج باب الرحمة، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي، ثم أنشأها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو، ويؤكد الحنبلي أنها قد دثرت في عصره (الحنبلي 1973 ج: 342) 2. بعدها يذكر «المدرسة النحوية» التي تقع فوق سطح الصخرة المشرفة في الجهة الجنوبية الغربية، وقد أنشأها الملك المعظم عيسى سنة 604هـ/ 1207م.

كما أن الحنبلي يذكر في هذه المنطقة ما أطلق عليه «الفارسية»⁽¹⁾ «في المكان الذي تجلس فيه النساء بالقرب من «بئر ورقة»؛ وتقع هذه البئر شرقي رواق مبنى الجامع القبلي في المسجد الأقصى المبارك، وأسفله، شكل البئر يشبه الورقة ولها فتحتان qudsinfo.com.

(1) منسوبة لوقف المدرسة الفارسية (755هـ/ 1354م) الواقعة شمال المسجد الأقصى المبارك.

2- المدارس مما هو حول المسجد الأقصى المبارك:

لم يذكر سوى الزاوية/ المدرسة الختنية، الواقعة بجوار قبلة المسجد الأقصى خلف المنبر، بناؤها قديم من زمن الروم، ولكن بناء الدار التي بداخل الزاوية مستجدة. وقد أوقفها الملك صلاح الدين سنة 587هـ/ 1191م.

3- المدارس المجاورة للسور من جهة الغرب:

تألف مجموعة المدارس المجاورة للسور من جهة الغرب من 11 مدرسة، أهمها (الحنبلي 1973، ج2: 34 - 37):

1. المدرسة (الخانقاة) الفخرية المجاورة لجامع المغاربة من جهة الغرب؛ أي إنها في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى المبارك، واقفها: القاضي فخر الدين أبو عبد الله (ناظر الجيوش الإسلامية) ت 732هـ/ 1332م.
2. المدرسة التنكزية: تقع غرب الحرم، في صدر الرواق الغربي، في باب السلسلة، واقفها الأمير تنكز الناصري نائب الشام سنة 729هـ/ 1329م.
3. المدرسة البلدية: واقفها الأمير منكلي بغا الأحمدي نائب حلب ت 782هـ/ 1380م، وجددت سنة 885هـ/ 1480م.
4. المدرسة الشريفة السلطانية (الأشرفية) وتسمى (المدرسة السلطانية): واقفها الملك الأشرف قايتباي عندما حضر إلى القدس الشريف سنة 880هـ/ 1475م لم تعجبه التي كانت قائمة باسم «المدرسة القديمة»، فأمر ببناء مدرسة على سطحها الرصاص المحكم كظاهر المسجد الأقصى، وأعظم محاسنها كونها في هذه البقعة الشريفة، وصارت جوهرة ثالثة، وهي قبة الصخرة وقبة الأقصى.

ثم يذكر الحنبلي في هذه المنطقة مجموعة المدارس الأخرى التي لا يتسع المجال لذكر



تفاصيلها، وهي: 5 - القديمة (بنيت الأشرفية مكانها). 6 - العثمانية. 7 - الخاتونية.
8 - الأروغونية. 9 - المزهرية. 10 - الجوهريّة. 11 - المنجكية.

وهناك مدرسة تقع في هذه المنطقة لم يذكرها الحنبلي، وهي: المدرسة الزمنية
881هـ/1476م، تقع بجوار الأشرفية وقد بنيت من قبل الخوجا شمس الدين محمد
بن الزمن الدمشقي ت 897هـ/1491م (اليعقوب 1999: 327).

4 - مدارس في جهة الشمال (ملاصقة لسور المسجد الأقصى المبارك):
تألف مجموعة المدارس المجاورة للسور من جهة الشمال من 15 مدرسة، أهمها الحنبلي
1973، ج2: 38 - 41:

1. المدرسة الدويدارية: وهي أقدم مدارس هذه المجموعة؛ إذ أنشأها واقفها
الأمير الكبير الغازي المجاهد علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدواداري
الصالح النجمي سنة 695هـ/1296م، تقع بباب شرف الأنبياء، وهي التي سمي
باب المسجد بسببها (باب الدوادارية)، وكانت تعرف بدار الصالحين.

2. المدرسة الطولونية: أنشأها الشهابي أحمد بن الناصري محمد الظاهري في زمن الملك
برقوق، على يد مملوكه أقبغا سنة 799هـ/1397م. ويتوصل لها من السلم المتوصل منه
إلى منارة باب الأسباط. ولم يكتب لها كتاب وقف إلا سنة 827هـ/1424م.

3. المدرسة الفنرية: مقابل الطولونية من جهة الشرق، يصعد إليها من السلم
المتوصل منه إلى منارة باب الأسباط أيضًا. أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري
محمد الطولوني الظاهري المملوكي؛ عمّرها مع المدرسة الطولونية 799هـ/1397م.
وباعها ابنه لـ «محمد شاه بن الفنري الرومي» فوقفها الفنري وسمّيت الفنرية.

ثم مجموعة المدارس الأخرى التي لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها، وهي: 4 - الجاولية.
5 - الصببية. 6 - الملكية. 7 - الفارسية. 8 - الأمينية. 9 - الباسطية. 10 - الباسطية.

11 - الأوحدية. 12 - الكريمة. 13 - القادرية. 14 - الغادرية. 15 - الحسنية.

5 ما حول المسجد غير ملاصق للصور ولكنه بالقرب منه من جهة الشمال: ونحن لا نزال في جهة شمال المسجد الأقصى المبارك، فلنتعرف على مجموعة المدارس حول المسجد غير الملاصقة للصور من جهة الشمال، فكان عددها - حسب الحنبلي - 7 مدارس، أهمها (الحنبلي 1973، ج2: 41 - 43):

1. المدرسة الصلاحية: وهي أقدم مدارس هذه المجموعة؛ واقفها الملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله سنة 588هـ/1192م. كانت كنيسة من زمن الروم تعرف بـ«قبر حته (أم مريم)» تقع قرب باب الأسباط شمال الحرم القدسي. ووظيفة مشيختها من الوظائف السننية بمملكة الإسلام. كان عليها عديد من الأوقاف، كان صلاح الدين قد أوقف سوق العطارين عليها.

2. الحنفيه (المُعظمية): واقفها الملك المعظم عيسى تقع مقابل باب شرف الأنبياء 606هـ/1209م - ورد في الحنبلي «660هـ»، وبظاهر المسجد منارة على المدرسة المعظمية. وهي نفسها «الحنفية»؛ إذ يذكر الحنبلي في (ج1، 403): وله (الملك المعظم عيسى) بالقدس مدرسة الحنفيه عند باب المسجد الأقصى المسجد الأقصى المعروف الآن بباب الدويدارية. كما ورد في ربيعة (2010: 288): كانت تعرف سابقاً المعظمية، تنسب إلى واقفها الملك المعظم عيسى الأيوبي. أي إن المعظمية هي نفسها الحنفيه.

3. السُّلامية: واقفها الخواجه مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي سنة 700هـ/1301م، تقع بباب شرف الأنبياء تجاه المعظمية، وهي بجوار المدرسة الدوادارية جهة الشمال. ويطلق عليها بورغون «مدرسة المجد السلامي» (Burgoyne 1987: 299).

ثم مجموعة المدارس الأخرى في هذا الموقع، التي لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها، وهي: 4 - الكاملية. 5 - المهازية. 6 - الوجيهية. 7 - المحدثية.



وهناك مدرستان أخريان في هذه المنطقة لم يذكرهما الحنبلي، هما: المدرسة الجراحية 598هـ/1201م، تقع إلى الشمال من مدينة القدس وتُنسب إلى محبسها «حسام الدين الحسين بن عيسى الجراحي ت 598هـ/1201م (اليعقوب 1999: 326). كما أن هناك المدرسة الشبخونية 761هـ/1359م التي تقع قرب الصلاحية عند سويقة باب حطة، وقد أوقفها الأمير سيف الدين قطيشة وتُنسب إلى ابنه شيوخون اليعقوب (1999: 316). كما يوجد في هذه المنطقة المدرسة القرقشندية العسلي 1981: 259 - 260 وتُنسب إلى تقي الدين أبو الفدا إسماعيل القرقشندي المصري الشافعي ت 778هـ/1376م (الخالدي 2013: 10؛ العارف 2005: 369).

6 - مدارس غير ملاصقة للسور ولكنها بالقرب منه من جهة الغرب:

تبدأ هذه المنطقة من باب الناظر، وتمتد جنوباً حتى حارة المغاربة، مروراً بباب السلسلة. تتألف مجموعة مدارس هذه المجموعة من 7 مدارس، أهمها (الحنبلي 1973، ج 2: 43 - 46):

1. الطازية: تقع بخط داود بالقرب من باب السلسلة، أوقفها الأمير طاز بن قطغاج سنة 762هـ/1361م.

2. المدرسة الأفضلية: وهي أقدم مدارس هذه المجموعة؛ واقفها الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن الملك صلاح الدين سنة 589هـ/1192م، وهو نفسه من وقف حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم ذكورهم وإناثهم، التي تقع فيها هذه المدرسة، تعرف قديماً بالقبة بحارة المغاربة.

ثم مجموعة المدارس الأخرى المتركة في باب الناظر - غرب السور وغير ملاصقة له - التي لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها، وهي: 3 - الحسنية. 4 - الشتمرية. 5 - البارودية. 6 - الجهاركسية. 7 - الحنبلية.

كما يوجد في هذه المنطقة ثلاث مدارس أخريات لم يذكرهن الحنبلي، هي:

- المدرسة الكيلانية 753هـ / 1352م وتنسب إلى «جمال الدين بهلوان الكيلاني اللاهجي»، تقع غرب المدرسة الطازية (اليعقوب 1999: 344).

- المدرسة الطشتمرية 784هـ / 1382م أنشأها وأوقفها الأمير سيف الدين طشتمر العلائي ت 786هـ / 1384م، تقع غرب الحرم عند ملتقى الطرق المؤدية إلى باب السلسلة بالطريق المؤدية إلى حارة الشرف (اليعقوب 1999: 332).

- المدرسة الأباصيرية الواقعة على بعد 25 مترًا عن باب الناظر في الركن الشمالي منه. واقف هذه المدرسة سنة 659هـ / 1261م الأمير «علاء الدين بن عبد الله الركني»؛ الأمير الأعمى الزاهد ناظر الأوقاف بالقدس والخليل الملقب بالبصير (قليو 2019: 69).

7 - مدارس بالقدس الشريف غير القريبة من المسجد:

يذكر مجير الدين الحنبلي 7 مدارس، أهمها (الحنبلي 1973، ج2: 43 - 46):

1. المدرسة البدرية: تقع بخط مرزبان (أي حي الواد بالقدس) بالقرب من زاوية الشيخ محمد القرمي (يُنظر: العسلي 1981: 203). وهي أقدم مدارس هذه المجموعة؛ واقفها بدر الدين محمد بن محمد بن أبي القاسم الهكاري، أحد أمراء الملك المعظم سنة 610هـ / 1213م (الحنبلي 1973، ج2: 47). وقد أورد الباحث محمود الهواري نقشًا عند مدخلها يفيد بأن واقفها قد «جعل نظرها إلى الأرشد و... من أولاده» (Hawari 2007: 141)؛ مما يعني أنها وقف ذري.

2. المدرسة اللؤلؤية: تقع بخط مرزبان، بالقرب من المدرسة البدرية، بجوار حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال، واقفها الأمير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين قبل 781هـ / 1379م.

كما أن هناك مجموعة المدارس الأخرى المتركة في باب الناظر - غرب السور وغير



ملاصقة له - التي لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها، وهي: 3 - الميمونية. 4 - الظاهرية. 5 - المالكية. 6 - العلوية. 7 - المنصورية. علمًا أن المدارس الثلاث الأخيرة لم تكتب تواريخ وقفها ولا واقفيها من قبل مجير الدين الحنبلي، كما لم أتمكن من الوصول إلى معلومات عنها لدى الباحثين الآخرين.

ثانيًا - مدارس في بيت المقدس وقفها نساء:

فقد تبين أن هناك عددًا من المدارس المملوكية تم وقفها من قبل نساء، أو أنها وقفت من أجلها، أو أن المرأة صاحبة القرار في عمارتها أو وقفها. وقد التقطنا المدارس الآتية ذات الصلة بالنساء، مباشرة أو غير مباشرة، وهي:

1 - المدرسة العثمانية: واقفتها امرأة من أكابر الروم واسمها أصفهان شاه خاتون، وتدعى «خانم» سنة 840هـ/1436م. مجاورة للمدرسة الأشرفية؛ بباب المتوضأ، وعليها أوقاف ببلاد الروم وغيرها في هذه البلاد. ودفنت الواقفة بها بالبوابة المجاورة لسور المسجد (الحنبلي 1973، ج2: 38).

2 - المدرسة الخاتونية: تقع بباب الحديد. واقفتها الأولى: أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين تمر القازانية البغدادية سنة 755هـ/1354م.. وفي سنة 782هـ/1380م أكملت أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه عمارة هذه المدرسة ووقفت عليها (الحنبلي 1973، ج2: 36).

3 - المدرسة الملكية: عمرها الحاج آل ملك أبو بكر الجوكندار سنة 745هـ/1344م لزوجته من مالها، والوقف عليها من زوجته «ملك بنت السيفي قطلقتمر الناصري»، وكان بناؤها في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون. تقع فوق الرواق الممتد من الدويدارية إلى آخره من جهة الغرب (الحنبلي 1973، ج2: 38).

4 - المدرسة الغادرية: عمرتها مصر خاتون 836هـ/1432م، ثم أوقفها زوجها الأمير

ناصر الدين محمد بن دالغادر، وكان بناؤها في سلطنة الملك الأشرف برسباي. تقع داخل المسجد الأقصى المبارك من جهة الشمال؛ بين باب حطة وباب الأسباط. ولم يوجد لها كتاب وقف، فكتب محضر بوقفها، وثبت سنة 877 هـ/ 1472م (الحنبلي 1973، ج2: 40).

5 - المدرسة البارودية⁽¹⁾: بباب الناظر بالقرب من التثتمرية. ويقابلها الزاوية اليونسية. واقفتها الست الحاجة سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر بن محمود، المعروف والدها بالبارودي سنة 768هـ/ 1366م (الحنبلي 1973، ج2: 43 - 44).

ثالثاً - مدارس رومانية المبنى:

وهي تلك المدارس التي لم يقم واقفوها ببنائها كمدارس، وإنما هي بالأصل مبنى من زمن الرومان، منها:

1 - المدرسة الصلاحية: تقع قرب باب الأسباط شمال الحرم القدسي، بالأصل كنيسة من زمن الروم تعرف بـ«قبر حنة أم مريم»، أوقفها الملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله سنة 588هـ/ 1192م (الحنبلي 1973، ج2: 41).

2 - المدرسة الجهارسكية: تقع بباب الناظر، واقفها الأمير جهاركس الخليلي، واعتُبر تاريخ إنشائها قبيل وفاته 791هـ/ 1389م. أصلها كنيسة من بناء الروم، قسمت بين هذه المدرسة والزاوية اليونسية المنسوبة للفقراء اليونسية (الحنبلي 1973، ج2: 44).

3 - المدرسة الميمونية: تقع عند باب الساهرة، وهي كنيسة من بناء الروم، واقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله خازندار الملك صلاح الدين سنة 593هـ/ 1197م.

(1) وردت في الحنبلي (1973، ج2: 43-44) باسم «البارودية»، إلا أن الباحثين الآخرين يجمعون على تسميتها «البارودية». ينظر: الحنبلي 1999، ج2: 92-93؛ العسلي 1981: 218؛ يوسف 2010: 207-208.



رابعًا - أهداف المدارس وأغراضها:

فقد تبين أن دور المدرسة في بيت المقدس لم يقتصر على التعليم، وإنما كانت مكانًا للاجتماعات واللقاءات العامة أحيانًا، كما أنها كانت تشتمل على سكنٍ لبعض القائمين عليها؛ بدءًا من متولي مشيختها. وهناك عديد من المدارس كانت تشتمل على مكان للدفن، لاسيما لواقفي تلك المدارس، أو أنها أسست لتكون تربية، فالمدارس التي تقع في طريق باب السلسلة وهي: الطُشتمرية، والكيلانية، والطازية، والجالقية هي ترب في الأصل ثم أصبحت فيما بعد مدارس (يوسف 2010: 170). أضف إلى ذلك «التربة الشيخونية». ومن بين هذه الترب لاحظنا أن الحنبلي ذكر الطازية فقط كمدرسة، وأما الباقي فتعامل معها كترب (الحنبلي 1973، ج2: 44، 45، 287). ومن الأمثلة على الاستخدامات غير التعليمية:

1 - المدرسة الجاولية: كانت تعرف ب«دار النيابة»، وكانت في عصر الحنبلي سكنًا لنواب القدس، وفيها مدفن به الشيخ درباس الكردي الهكاري (الحنبلي 1973 ج2: 38).

2 - المدرسة الصببية: توفي واقفها بالشام في المحرم سنة 809هـ/ 1406م، ثم نقل إلى القدس الشريف بعد مدة ودفن بمدرسته. وكان مقيمًا فيها الشيخ شرف الدين بن الصامت القادري شيخ الشيوخ القادرية بالقدس الشريف، ويقام فيها الأوقات المشهورة بالذكر خصوصًا في ليالي الجمعة (الحنبلي 1973 ج2: 22، 38).

3 - المدرسة الأوحدية: واقفها الملك الأوح نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى ت 698هـ/ 1299م دفن واقفها فيها بعد وقفه لها بعام واحد فقط (الحنبلي 1973 ج2: 39، 271).

وهناك عديد من المدارس تضم رفاة شيوخ المدرسة أو غيرهم. ومما يلفت النظر، ما كان يجري في المدرسة الخاتونية باستخدامها كسجن أو مقر إقامة إجباري لمناوئي

السلطة. ففي هذه المدرسة توفي الأمير خير بك الظاهري الخشقدمي 879هـ/1474م، الذي تسلطن ليلة واحدة من غير عهد ولا مبايعة، وكان قدومه من مكة في أول سنة 878هـ/1473م (الحنبلي 1973 ج2: 305). وفي هذه المدرسة أيضًا توفي الأمير جاني بك سنة 883هـ/1478م، بعد عودته من الحجاز الشريف (الحنبلي 1973 ج2: 321). وفي سنة 886هـ/1481م تم القبض على الأمير قانصوه اليحيوي نائب الشام في الرملة، وتم تجهيزه إلى القدس الشريف وأقام بهذه المدرسة (الخاتونية) (الحنبلي 1973 ج2: 327).

خامسًا - تداخل التسميات لمدارس في بيت المقدس:

فقد تبين من هذا الكتاب لمجير الدين الحنبلي أن هناك تسميات متداخلة لبعض المدارس، مثل:

1 - المدرسة المعظمية لواقفها صاحب دمشق الملك المعظم عيسى 576هـ/1180م - 624هـ/1227م يذكرها الحنبلي في ج2، 42 بأن تاريخ وقفها 660هـ/1262م؛ أي بعد وفاة الواقف. في حين أنه في ج1، 403 يقول: وله الملك المعظم عيسى بالقدس مدرسة الحنفية عند باب المسجد الأقصى المسجد الأقصى المعروف الآن بباب الدويدارية - وهو نفس الوصف للمدرسة المعظمية - ولعل الخلط جاء من مسمى المدرسة المعظمية الواقعة في «جبل الصالحية» ببلاد الشام التي دفن فيها الملك المعظم الحنبلي (1973، ج2: 405).

يناقش الباحث «حمد يوسف» ما ورد أعلاه، بأن لهذه المدرسة مسميين: المعظمية نسبة إلى الملك المعظم، و«الحنفية» تعود إلى اهتمام الملك المعظم عيسى بالمذهب الحنفي. وأما كتاب الوقف المذكور تاريخه أعلاه بعد وفاة الواقف، فيفنده الباحث بأن سجل الأراضي التركي 522، ص: 29 يؤكد أن تاريخ الوقفية هو 606هـ/1209م؛ أي في حياة الواقف (يوسف 2010: 146 - 150) وليس 660هـ.



2 - المدرستان القادرية والغادرية: في ج2، ص: 22 يتحدث عن رواق يمتد من باب الأسباط إلى المدرسة «القادرية»، والرواق الممتد سفلى «القادرية» بنى معها، ويقدر ذلك بأنه سنة 769هـ/ 1368م، ويشير في ج2، ص: 229 إلى أن الشيخ الإمام المحقق شرف الدين الرومى الحنفى تولى مشيختها وتوفى فيها سنة 869هـ/ 1464م، وفي ج2، ص: 252 يقول: تولى مشيختها العدل شمس الدين أبو عبد الله بن مسعود المغربى 801هـ/ 1399م - 889هـ/ 1484م. رغم هذا الوضوح فى الشرح عن المدرسة «القادرية» إلا أن الحنبلى لم يضعها فى القائمة إلى جانب المدارس الأخرى. فى حين يؤكد أن «المدرسة الغادرية» قد بنيت سنة 836هـ/ 1432م ولم يذكرها إلا مرة واحدة فى ج2، ص: 40.

لم يورد الباحث «محمد يوسف» «المدرسة القادرية» كواحدة من آثارنا العربية والإسلامية فى بيت المقدس، وكذلك فعل الباحث «كامل العسلى»؛ إذ استبعد ذكرها كواحدة من معاهد العلم فى بيت المقدس، وإنما يتبعان «المدرسة الغادرية» التى - حسب يوسف - استمرت كمدرسة فى العصر العثمانى، من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، وأنه زارها سنة 1413هـ/ 1993م وشاهد عملية ترميم ما تبقى منها. بذلك، يمكننا أن نحسم الأمر بوجود مدرستين مختلفتين: القادرية وقد تكون درست من أيام الحنبلى، والغادرية الباقية بواجهتها المملوكية المطلة على المسجد الأقصى المبارك (يوسف 2010: 228 - 232؛ العسلى، 1981: 261 - 264؛ العلمى 1999: 71، 99 - 101).

3 - المدرسة/ الزاوية الخنثية أم الخنثية: يذكر الحنبلى اسم المدرسة «الخنثية»، وقد حذا الباحثون حذوه فى هذه التسمية، وهذا ما فعله الباحث كعابنة بأن اعتمد تسمية الـ«الخنثية» بدل «الخنثية» فى تحقيقه للجزء الثانى من كتاب مجير الدين الحنبلى قيد النقاش. إلا أن الباحث «كامل العسلى» أجرى تحقيقاً حول الاسم الصحيح لها، إذ

يقول: الاسم الصحيح للمدرسة هو «الختنية» نسبة إلى الشيخ الختني الذي كان شيخاً لهذه الزاوية في القرن الثامن الهجري (العسلي، 1981: 101).

كما أن الحنبلي نفسه يذكر في ج2، ص: 206 أنه عرض على شيخ الإسلام برهان الدين الشافعي الخليلي قطعة من كتاب ابن المقنع في الفقه بالزاوية الختنية، وفي ج2، ص: 174 - 175 يقول: ... وأقام بالزاوية الختنية وراء قبلة المسجد الأقصى الشريف⁽¹⁾، «ولمّا منّ الله على الشيخ شهاب الدين بالإقامة بالقدس الشريف والسكنى في الزاوية الختنية... وفي ج2، ص: 208 يقول: تولى القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد مولده 846هـ/ 1443م وليّ مشيخة الزاوية الختنية بنزول صدر له من والده قبل وفاته⁽²⁾... بذلك، يتأكد لنا أنها «المدرسة/ الزاوية الختنية» وليست «الختنية»!

4 - المدرسة «الباوردية» أم «البارودية»: يذكر الحنبلي في طبعته قيد النقاش «المدرسة الباوردية»: نسبة إلى «شرف الدين..... المعروف والدها بالباوردي» (الحنبلي 1973، ج2: 43 - 44)، في حين يجمع الباحثون الآخرون على أنها «البارودية» (الحنبلي 1999، ج2: 92 - 93؛ العسلي 1981: 218؛ يوسف 2010: 207 - 208).

5 - المدرسة «الناصرية» أم «النصرية»: يذكر الحنبلي في طبعته قيد النقاش «المدرسة الناصرية»: نسبة إلى «الشيخ نصر المقدسي» (الحنبلي 1973، ج2: 34؛ الحنبلي 1999، ج2: 92 - 93)، في حين يجمع الباحثون الآخرون على أنها المدرسة «النصرية» (العسلي 1981: 96؛ يوسف 2010: 142 - 143).

الاستنتاجات والخاتمة

نستنتج من هذه القراءة التحليلية أن مجير الدين الحنبلي في كتابه هذا قد تتبع غالبية

(1) الباحث كعابنة في (الحنبلي، 1999، ج2: 276-277) يعتمد تسمية «الختنية».

(2) الباحث كعابنة في (الحنبلي، 1999، ج2: 319) يعتمد تسمية «الختنية».



مدارس بيت المقدس في عصره، وليس جميعها. وأما المدارس الـ50 قيد النقاش، فقد كانت مدرسة واحدة منها فاطمية، و7 مدارس منها أيوبية النشأة أو الوقف؛ أي إن 14 بالمئة من مدارس القدس تعود إلى العصر الأيوبي الممتد لنصف قرن ونيف بين 588هـ/ 1191م - 648هـ/ 1250م. وهناك 84 بالمئة من مدارس القدس مملوكية؛ مما يؤكد على غزارة إنشاء المدارس في العصر المملوكي، الممتد لما يزيد على قرنين؛ من عام 648هـ/ 1250م حتى كتابة الحنبلي لكتابه عام 900هـ/ 1495م.

وتبين أن 4 بالمئة من مجموع هذه المدارس قام المماليك ببنائها خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، و54 بالمئة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ليكون 42 بالمئة من هذه المدارس قد أنشأها المماليك في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. بهذا، نستنتج أن ذروة حركة بناء المدارس في القدس، ووقفها وبالتالي الوقف عليها، كان في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ثم يبدأ التراجع التدريجي؛ إذ إن أحدث مدرسة يذكرها مجير الدين في كتابه كانت في سنة 885هـ/ 1480م، وهي المدرسة الأشرفية والمدرسة المزهرية؛ أي إن 15 عامًا هجريًا تكون قد مرّت دون أي بناء أو وقف لأي مدرسة جديدة.

من حيث الأبنية، نجد أن ثلاثًا من تلك المدارس أي 6 بالمئة من مجموع المدارس قيد النقاش تم وقفها بتحويلها من كنائس إلى مدارس، والباقي تم بناؤها بأموال الواقفين أو المنشئين. وقد ذكر الحنبلي تلك الكنائس بأنها من العصر الروماني؛ أي إنها إما أن تكون فارغة منذ الفتح العمري حتى تاريخه، وتم إشغالها كمدارس، أو أنه تم تحويلها لتصبح مدرسة.

أما من حيث النوع الاجتماعي، فقد تبين أن 10 بالمئة من هذه المدارس تم وقفها أو تمويلها، أو إنشائها من قبل نساء. مما يشير إلى أن المرأة في ذلك العصر كانت شريكة

الرجل في العمل من أجل النهضة العلمية.

من جانب آخر، يلاحظ أن الحنبلي لم يولِ الحالة التعليمية في المدارس الاهتمام الكافي. وإنما جاءت المعلومات لتركز على الواقفين والمؤسسين والمنشئين. كما أنه لم يعط معلومات كافية عن ثلاث مدارس، هي: الظاهرية، والمالكية، والعلوية. وهناك 6 من مدارس عصره لم يذكرها الحنبلي نهائياً.

إلا أنه لا بد من القول إن الفترة المملوكية أسست لشبكة مدارس في القدس، بعدد ضخم جداً، مقارنة مع الحجم الصغير لهذه المدينة المقدسة. كما أن التعليم في عهد المماليك وصل إلى مرحلة التخصص والدراسة العالية، وكان الطالب بعدها يعطى إجازة في التدريس، أو الفتوى، أو الحديث، أو الفقه. وفي العلوم كانت دراسة الطب أو الفلك أو الهندسة، أو الرياضيات... الخ (يحيى 1998: 43 - 44). أضف إلى المدارس التي كانت عامرة بالمكتبات كالأشرفية، والأمينية، والتنكزية، والطشتمرية، والمزهرية (يحيى 1998: 42 - 62).

واستمرت تلك المدارس في توفير الخدمات التعليمية في المرحلة العثمانية اللاحقة، إلا أنه مما يؤسف له أن هذا العدد من المدارس قد تراجع من 56 مدرسة في القرن السادس عشر الميلادي، إلى 40 مدرسة في السابع عشر، وإلى 35 مدرسة في أواسط القرن الثامن عشر، بل إن هذه المدارس تعطلت كلياً في بداية القرن التاسع عشر الميلادي صبري 2021؛ العسلي 1992. أي إن انهياراً قد تم لتلك المدارس، وذلك لأسباب مختلفة العسلي 1992: 254 - 255؛ Sroor 2007، ولسنا بصدد البحث في أسباب هذا التراجع، ولكن النتيجة أن تراثاً علمياً ضخماً قد ضاع في بيت المقدس. فمن المسؤول عن هذا الضياع؟

بقي القول: احتراماً وإجلالاً لهذا الكتاب الذي يعدّ الوثيقة التاريخية الأهم في التوثيق



لتاريخ القدس ومعالمها حتى أواخر العصر المملوكي، لا بد من الإشارة إلى ما وقعت عليه العين من أخطاء مطبعية في الطبعة قيد النقاش، منها: في ج2، ص: 22: المدرسة الأُسعدرية وليس الأُسفردية، وفي ج2، ص: 37 واقف المدرسة الجوهريّة «الصوفي جوهري» وليس «الصفوي». وفي ج2، ص: 38: بشأن المدرسة الملكية: ... وأما الوقف عليها فإنه من زوجه وليس زوجة ملك بنت السيفي... وفي ج2، ص: 134، السطر الثاني: سنة خمس وثمانمائة وليس خمسين وثمانمائة. وفي ج2، ص: 180، السطر الثالث: استقر فيها بعد والده وليس «استقر فيما بيد والده».

والله من وراء القصد

مراجع

- إبراهيم حسني ربابعة. تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال 1600م - 1700م. حيفا: مكتبة كل شيء، 2010.
- أحمد العلمي. المدارس المملوكية في القدس. القدس الشريف، 1999.
- أحمد سامح الخالدي. أهل العلم بين مصر وفلسطين. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.
- حمد أحمد يوسف. من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس. القدس: وزارة الإعلام - فلسطين، 2010.
- عارف العارف. الفصل في تاريخ القدس. الطبعة 3. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.
- الفصل في تاريخ القدس. الجزء الأول. الطبعة 5. القدس: فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في القدس، 1999.
- عروة عكرمة صبري. «تاريخ الحركة العلمية الفقهية في بيت المقدس خلال الفترة العثمانية». المؤتمر الدولي للآثار العثمانية في مدينة القدس. اسطنبول، 2021.
- علي قليبو. المعالم المعمارية في القدس المملوكية. ترجمة النص إلى العربية وتحريره: عبد الرحمن هاشم. القدس: مؤسسة التعاون، 2019.
- كامل جميل العسلي. «القدس تحت حكم العثمانيين». تحرير: إبراهيم محمود الحسنات. القدس في التاريخ. عمان: الجامعة الأردنية، 1992. 270 - 233.
- معاهد العلم في بيت المقدس. عمان: الجامعة الأردنية، 1981.
- وَثَائِقُ مَقْدِسِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ - المجلد الأول. المجلد 1. عمان: مَطْبَعَةُ التَّوْفِيقِ، 1983.
- مجير الدين الحنبلي. الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل. جزءان. عمان: مكتبة المحتسب، 1973.
- الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل. ج1. إعداد وتحقيق ومراجعة: عدنان أبو تباة. مكتبة دنديس، 1999.
- الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل. ج2. إعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة. مكتبة دنديس، 1999.
- الأئس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج1. عمان - الأردن: مكتبة المحتسب، 1973.
- محمد أحمد يعقوب. ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.



جزءان. عمان: البنك الأهلي الأردني، 1999.

- محمد هاشم غوشة. الأوقاف الإسلامية في القدس - دراسة تاريخية موثقة -، المجلد الأول. استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون، 2009.

- محمود عودة كعابنة. «المدارس في بيت المقدس - مراجعة لما ورد في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي العليمي.» الندوة الثالثة عشرة لاتحاد جمعيات مكتبات بلاد الشام. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2009.

- مها أحمد يحيى. المكتبات الإسلامية في بيت المقدس في العصر المملوكي. القدس: رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القدس، 1998.

Michael H. Burgoyne. - Mamluk Jerusalem: An Architectural Study. London: Jolly and Barber Ltd. 1987.

K. M. Hawari. - Ayyubid Jerusalem 1187 - 1250. An architectural and archaeological study. Oxford, England: Bar International Series 1628، 2007.

Mousa Sroor. « - La transformation des biens waqfs en propriété privée à Jérusalem.»

- مجلة «المواقف» للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 12، 2007: 235 - 260.